

رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

النبأ والخصلع الأعوج



سوقا بالقواريرا



في عالم يدّعي الحرية والمساواة،
تواجه المرأة الغربية واقعًا قاسيًا من الاستغلال والعنف،
حيث تختلط الشعارات البراقة بحقيقة مؤلمة من
العلاقات المؤقتة والضغط النفسية والاجتماعية.
بينما يقف الإسلام شامخًا بتشريعاته التي تكرم المرأة
وتمنحها مكانة فريدة،
محافظًا على حقوقها كأُم وزوجة وابنة.

في هذا النص،

نستعرض كيف انقلبت الحرية إلى عبء،
وكيف جعل الإسلام من المرأة جوهرة مصونة،
وسط عالم يعصف بقيمها.

ولكن لنعرف ذلك علينا أن نعود قليلاً بالتاريخ ..
هناك في عصر الإغريق كانت المرأة محتقرة مهانة لديهم
حتى أنهم أسموها رجس من عمل الشيطان وكانت آراء
الفلاسفة لديهم الذين كانوا يعتبرونهم رواد الفكر العقلاني
حول المرأة آراء تدل على مدى امتهانهم واحتقارهم لها:
فيقول الفيلسوف الإغريقي سقراط:
"إنَّ وجودَ المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة في العالم، إنَّ
المرأة تُشبه شجرةً مَسْمُومة، حيث يكون ظاهرها جميلاً،
ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالاً" (١)

ويقول أرسطو طاليس: "
إن المرأة رجل غير كامل، وقد تركتها الطبيعة في الدرك
الأسفل من سلم الخليقة". (٢)
ويقول أيضاً:
"أن المرأة للرجل كالعبد للسيّد، والعامل للعالم، والبربري
لليوناني، وأن الرجل أعلى منزلة من المرأة"
ولم يكن يعتقد بقدرة النساء الفكرية على اتخاذ قراراتهن
بأنفسهن. (٣)



كما أنه في القرن الحادي عشر، سنّت المحاكم قانونًا يسمح للزوج بإعارة زوجته لرجل آخر لمدة يحددها المستعير! وكان من حق كل حاكم أن يتمتع بامرأة الفلاح لمدة تصل إلى أربع وعشرين ساعة من تاريخ العقد مع الفلاح! (٣)

وفي إنجلترا خلال الفترة بين القرن الخامس والحادي عشر للميلاد كانت عادة الرجال أن يقيموا مزادًا، مزادًا يتنافسون ويتهافتون فيه على شراء البضائع لكن البضاعة فيه لم تكن أي بضاعة؛

فالبائع هو الزوج وبضاعته هي «زوجته» في ظاهرة معروفة وغير منكورة، كانت تعرف بظاهرة بال (wife selling) حيث كان بيعها أوفر من رسوم طلاقها كما كانوا بذلك يسددون بعضًا من ديونهم. (٤)

كما صُمم قفص حديدي للرأس يعرف بـ (Scold's Bridle) كالقناع تلبسه المرأة على رأسها حيث تبرز منه قطعة تضعها تحت لسانها بحيث لا تستطيع التحدث ولا الكلام طوال فترة عقوبتها وذلك كعقاب لها فقط لأنها كانت تتحدث كثيرا أو إن صدر منها أي خطأ بشري! (٥)

فلربما لو كنت امرأة تعيش في ذلك الوقت لعوقبت بذلك القفص المهين فقط لأنك قررت التحدث أو الإدلاء برأيك في أمر ما، أو وجدت نفسك تباعين من قبل زوجك في مزاد أمام العشرات من الرجال، أو أنك تجدين نفسك «مباعة» لحاكم من أجل شهوة دنيئة.

فلا يمكن لمجتمع يدين بهذه النظرة المقيتة أن يعامل المرأة بالعدل والإنصاف ويحترمها كما يجب، ولا يمكن له أن يرى فيها قيمتها وينظر لها بنظرة تكريم.



حرية زائفة وواقع مرير:

رحلة المرأة الغربية

وبعد كل تلك الظروف البائسة والأوضاع المزرية والمهينة؛ بدأت الأصوات تنادي بإعطاء المرأة حقوقها الأساسية، ثم المطالبة بالمساواة بالرجل، ثم المطالبة فيما بعد لاحتقار كل ما له علاقة بالرجال، وحسب المؤرخين فذلك يعود إلى نهاية القرن ١٩ وبداية القرن ٢٠،

وبالتدريج حصلت على العديد من الحقوق على مدار السنوات من حق العمل وصولاً إلى حق الإجهاض «زعماء». ولكن كل تلك الشعارات الرنانة والزخارف البراقة لا تنفي حقيقة ما تتعرض له المرأة اليوم من كوارث حقيقة.

فالمراة اليوم في الغرب انهارت سعادتها، وضاعت روح الأمومة في داخلها، وتهدمت حياتها العائلية، وتشتت أفراد أسرتها، وفقدت إرادتها وهويتها، فأصبحت امرأة محطمة ومستضعفة بل يحمل العديد منهم عبء ظلم الرجل مع صعوبات الحياة فتحمل طفلًا غير شرعي ثم تتحمل مسؤوليته بمفردها دون دعم الأب، وتعاني من الحيرة والندم عندما يسأل طفلها عن أبيه، وتظل تبحث عن أمان وهدف في هذه الحياة دون أن تجده.



أبناء بلا مأوى

نتيجة التفكك الأسري

أصبح الأبناء يتركون بيت العائلة والذي من المفترض أن يكون أماناً لهم إلا أنه ليس كذلك فالأب مشغول بعمله، والأم الحنون اختفت في مجتمع مادي، حيث أصبحت مشغولة مرهقة بالعمل، ومع فقدانها لنفسها؛ فقدت كزوجة كريمة وأم مربية للأجيال، وبذلك فقدت الأسرة المتوازنة والسليمة.

فوفقاً لتقرير تقييم المشردين السنوي الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية للإسكان والتنمية الحضرية تشير تقارير National Runaway Safeline إلى أن ما بين ١,٦ مليون و ٢,٨ مليون شاب وشابة يهربون كل عام. (٦)

وبذلك يكونون بلا مأوى عرضة لإدمان المخدرات والأمراض النفسية وحتى الاستغلال الجنسي.



ملابس جاذبة وأجور زهيدة

ضغوط العمل على المرأة العصرية

نتيجة لذلك، أصبحت الفتاة تخرج في سبيل الحصول على عمل يجعلها مستقلة، إلا أنه جعلها عرضة أكثر للاستغلال، سواءاً كان ذلك من أصحاب أو مدراء، فيستغلونها بأي شكل من الأشكال، بأجور ضعيفة أو ساعات عمل طويلة، بل حتى يصل الأمر إلى استغلالهن جنسياً.

فوفقاً لتقرير نشرته صحيفة BBC NEWS أن واحدة من كل أربع نساء تمارس الجنس في المكتب. (٧)

وحتى وإن لم يتم استغلالها جنسياً فهي معرضة حتماً إلى التحرش، فقد ناقش موقع rfi دراسة أجرتها الحكومة الفرنسية، بأن ١٠٪ من النساء تعرضن للتحرش الجنسي أو ما هو أسوأ في وسائل النقل العام، وذلك فقط في طريقها للذهاب للعمل (٨)،

بل وقد أبلغت واحدة من كل أربع نساء أمريكيات عن تعرضهن
للتحرش في مكان العمل وذلك وفق تقرير نشرته صحيفة
abc NEWS. (٩)

حتى اضطر الرئيس الفرنسي نفسه للحديث عن هذا الأمر في
تغريدة مشهورة على موقع X حيث قال:

كما أنه يوجد نساء يتحرشن بالرجال أيضاً، ويستترزقن من وراء
ذلك بالتهديد برفع قضايا في المحاكم لابتزاز الرجل.
وكل ذلك التحرش لا يقتصر على مكان معين، فيحصل في أرقى
المؤسسات الحكومية والدولية والبرلمانات، فهذا هو تقرير لـ CNN
يتحدث عن إساءة معاملة النساء في البرلمانات الأوروبية، كما
يحصل في مراكز التعليم وكل مكان! (١٠)

كما أنها قد تجد نفسها في مكان عملها مضطرة
إلى التَّكشُّف ولبس القصير والمثير من الثياب،
وذلك لتكون أكثر «جذبا» للعملاء والزبائن. (١١)
وبحسب استطلاع قامت به مجلة (The Week)
أن تسع من كل عشر عاملات يتعرضن للضغوط
من أجل ارتداء ملابس «أكثر جاذبية» من
رؤسائهن. (١٢)



الجمال للبيع:

حينما يصبح الجسد وسيلة للبقاء

مع صعوبات الحصول على عمل، وقلة الفرص و الضغوطات من أجل الحصول على المال، قد تجد المرأة الأبواب مفتوحة لها على مصراعيها لتبيع عرضها من أجل المال والزبائن كثيرة، فالرجال الأكبر سنا يغدقون الأموال بوفرة في سبيل متعتهم ثم يتخلصون منها بسهولة ويذهبون إلى غيرها، كما أنها قد تصاحب الرجال العجائز في سبيل الحصول على مصروفات جامعتها. (١٣)

كما وأنها مع كل ذلك تظل طوال الوقت تحت ضغط نفسي في محاولة لإرضاء المعايير المجتمعية التي تصنفها وتقبلها وترفضها وفقا لجمالها الشكلي والجسدي أيضا ولربما اضطرها ذلك للجوء إلى عمليات التجميل حتى تحافظ على جمالها. (١٤)

فبذلك تعيش تحت خوف مستمر وتهديد دائم، وتخاف من فَقْد تلك المميزات الشكلية التي تسمح لها بالمنافسة، في وسط يعتمد على تفاصيلها الخارجية قبل جوهرها الداخلي وقيمة عقلها، فتدفع في سبيل ذلك الآلاف، ويستفيد منها أصحاب تلك الشركات الرأسمالية، وهم أصلا من وضعوا لها معايير جمال وهمية حتى تظل تسعى وتركض خلفها.

أطفال في صناديق

أمهات في ورطة: دائرة الحب المحطم

وعندما تحب المرأة أن تُلبّي رغبتها، وتوافق فطرتها في الدخول في علاقات عاطفية، تجد نفسها مفروضة على الدخول في علاقات متتالية، تعتمد بدايتها على تفاصيلها الشكلية الأكثر إثارة في عيني الرجل، الذي قد يكون يلهو ويبدل النساء كما يبدل ثيابه، وفي كل علاقة تدخلها، هي ملزمة بنصف النفقة من مسكن وطعام وحتى الهدايا محسوبة عليها، وغالباً ما تنتهي تلك العلاقات بسبب الخيانة أو العنف أو العلاقات الخارجية. وكثيراً ما تتعرض النساء للضرب والإساءة من شركائهن، بالإضافة إلى الاستغلال المادي والجسدي.

في مثل هذه المواقف، قد تنزلق إلى تناول الكحوليات أو الأدوية النفسية هرباً من آلامها، وقد تصل إلى تعاطي المخدرات. وحين تعجز عن إيجاد السعادة، تلجأ إلى الحانات والرقص على إيقاع الموسيقى الصاخبة، حيث تُستباح مثل الجوّاري أمام أعين الجميع، محاولةً بلا جدوى تفريغ سخطها وملء فراغها الروحي. (١٥)

وقد تؤدي تلك العلاقات إلى حمل، فتكون أمام عدة خيارات: -
أولهما أن تجهز الطفل باستخدام طرق بشعة، تتم بإدخال
أدوات مثل المقصات، تقطع الجنين إلى قطع، ثم يتخلص منه،
وبعض تلك العمليات تتم بعد الأسبوع السادس، أي بعد نفخ الروح
في الجنين، ولا يعتبر أو يُعد ذلك قتلًا للنفس!
ويمكن مشاهدة هذا الفيديو لمعرفة كيف تتم تلك العمليات
بشهادة أحد الأطباء. (١٦)

ثانيهما أن تحتفظ به وتتولى هي مسؤولية الاهتمام به؛ فتخرج إلى
سوق العمل كي تعمل، فلا رجل يعولها، فهي بلا زوج وبلا حتى أب،
فحتى أبوها يرى أنه «غير ملزم» الإنفاق على ابنته، وعليها «أن تدبر
شؤونها بنفسها» وهكذا يظل الطفل بلا أب أو أم يريعانه، و منها
تعاد الدورة مرة أخرى.
ومن الأمهات من لا تقدر على الاحتفاظ بالطفل بعد الولادة، فتقرر
التخلص منه في صناديق لإيداع الطفل المُتخلى عنه توضع في
الشوارع لوضع الأطفال بها بدلا من إلقائها في القمامة، وكأن ذلك
حلا للمشكلة!!؟

ويؤخذ الطفل بعد ذلك ليُرَبَّى في ملاجئ للأيتام،
وأبواه لا يزالان على قيد الحياة، بل وقد يكونوا على
بُعد بضعة أمتار منه.



حرية مزيفة وتدمير للذات

تستمر بعض النساء في هذا الطريق المظلم، مدفوعة بشعار «الحرية»، مدركة أنها حرية مزيفة تقودها إلى حياة مقززة قد تنتهي بالانتحار. الفراغ الروحي وغياب الهدف يجعلانها ضحية استغلال أنوثتها منذ صغرها حتى تدخل في غابة الحياة حيث يُستغل جمالها. ولأن العودة إلى الأسرة صعب، تعيش منعزلة ومشتتة، بعد أن تخلت عن طمانينتها.

الهروب إلى الوحدة في سن الشيخوخة

عندما تتجاوز النساء في الغرب سن «الصلاحية»، يلجأن إلى تربية الحيوانات أو ممارسة الهوايات لتجنب مواجهة الحقيقة المرة. يصبح هدفهن الأكبر هو جمع المال لتغطية تكاليف دور المسنين التي سيقضين فيها ما تبقى من حياتهن، سواء أنجبن أطفالاً أم لا. هذا التفكك الأسري والانهيال العائلي يجعل النساء في نهاية المطاف وحدهن في مواجهة قسوة الحياة.



شريعة الإسلام: تكريم للمرأة وحفظ لكرامتها

في مقابل هذه الحياة المزرية، يأتي الإسلام ليكرم المرأة ويصون حقوقها. فقد جعلها الإسلام سكن للرجل، لها حقوق وواجبات تتناسب مع طبيعتها وفطرتها. قال تعالى: **{وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ}** [البقرة: ٢٢٨]. وفرض على الرجل أن يعاملها بالمعروف ويؤدي حقوقها كاملة، بعيداً عن الظلم أو الإهمال. قال تعالى: **{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}** [النساء: ١٩]، وأوجب عليه الإنفاق عليها بما يناسب حالته المادية دون إسراف أو تقتير، فقال: **{وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ}** [البقرة: ٢٣٦].

مكانة الأم في الإسلام: أولاً وثانياً وثالثاً

كان النبي صلى الله عليه وسلم مثالاً يحتذى في كيفية التعامل مع النساء. فقد أوصى بهن في كثير من أحاديثه، فكان صلى الله عليه وسلم دائماً يُظهر الاحترام والرعاية لهن. وفي الحديث الشريف، حين سُئل: **«من أحق الناس بحسن صحابتي؟»** قال: **«أمك»** ثلاث مرات، ثم قال: **«ثم أبوك»**. (١٧)



البر حتى مع الأم غير المسلمة

لقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم بر الوالدين وخاصة الأم في مقدمة الفضائل، حتى وإن كانت الأم غير مسلمة. فقد جاءت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم تستشيريه في أمر أمها المشركة، فأمرها النبي بصلتها والإحسان إليها تجسيدًا للبر وحسن الصحبة حتى مع المخالفين في العقيدة. (١٨)

منحة البنات: طريقك إلى الخلود

في الإسلام، تُعتبر البنات نعمة عظيمة. فقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم من يُربي بناته بالعناية والصبر أن تكون هذه البنات سببًا في دخوله الجنة، وذلك في قوله: «من كان له ثلاث بنات فصبر عليهنَّ، وأطعمهنَّ وسقاهنَّ من جدته، كنَّ له حجابًا من النار يوم القيامة». (١٩)

وقد أكّد النبي صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى مرة أخرى عندما قال:

«مَنْ عَالَ ابْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، أَوْ أُخْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى يَبْنَ، أَوْ يَمُوتَ عَنْهُنَّ؛ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ « وَأُشَارُ بِأَصْبَعِيهِ السَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى. (٢٠)



الزوجة في الإسلام: رفيقة الدرب

في الوقت الذي تتعرض فيه النساء للإهمال في بعض الثقافات، نجد أن الإسلام رفع من شأن المرأة زوجةً، وجعل خيرية الرجل تُقاس بحسن معاملته لأهله. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» (٢١). فالنبي صلى الله عليه وسلم كان مثالاً للرجل الذي يُحسن إلى زوجاته، ويعاملهم برفق ولطف، ويقدر مشاعرهن واحتياجاتهن.

فق النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجاته:

مزاح ودلال

في إحدى الرحلات، طلب النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة عائشة رضي الله عنها أن تسابقه، فسبقته في المرة الأولى. وبعد فترة، أعاد السباق فسبقها، ثم مازحها قائلاً بابتسامة ملؤها الحب والمودة: «هذه بتلك السُّبُقة». (٢٢) كان هذا الموقف يعكس عميق حب النبي وحرصه على إضفاء الفرح والمرح في حياتها، مؤكدًا على أهمية العلاقة الزوجية التي تجمع بين الاحترام والمزاح اللطيف.



إصغاء النبي ووفاءه: حب لا يعرف الفراق

في حديث أم زرع، روت السيدة عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم قصة امرأة مدحت زوجها أبو زرع لكرمه وحبه، وكيف أغدق عليها بالعناية والرأف، لكنه طلقها في النهاية. استمع النبي صلى الله عليه وسلم بإصغاء، ثم قال لعائشة: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع، إلا أن أبا زرع طلق، وأنا لا أطلق»، هذه الكلمات تحمل بين طياتها عمق حب النبي وحرصه على تأكيد أمان زوجاته، مشددًا على وفائه وحنانه. (٢٣)

غيرة النساء ورفق النبي بهن

في لحظة من الغيرة، كسرت إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم صحيفة طعام، فلم يغضب أو يعاتب، بل جمع الطعام بهدوء وقال مبتسمًا: «غارَت أمكم». (٢٤) بهذا التصرف الحكيم والمليء بالرحمة، أظهر النبي حلمه وصبره، مقدراً مشاعر الغيرة الطبيعية للنساء، ومحتويًا الموقف بلطف يعكس عظيم أخلاقه وحكمته.

النبي يوصي بالأم حتى في الجهاد

جاء شاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب الإذن بالمشاركة في الجهاد، وهو من أعظم الأعمال في الإسلام. وكان الشاب متحمسًا لخوض المعارك طلبًا للأجر والمكانة عند الله. فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم سؤالًا حكيماً: «هل لك من أم؟» فأجاب الشاب بنعم، فقال له النبي: «فألزمها فإن الجنة تحت رجليها».

بهذا الموقف، أبرز النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم عظمة بر الأم وفضل خدمتها عند حاجتها لذلك، موضحًا للشباب أن بره بأمه والاهتمام بها يفوق أجر الجهاد، لما للأم من مكانة عظيمة وحاجة إلى من يرفعها. (٢٥)

المرأة في خطبة الوداع:

وصية أخيرة من النبي

في خطبة الوداع، أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالنساء خيرًا قائلاً: «استوصوا بالنساء خيرًا» (٢٦)، مشددًا على أهمية الرحمة والعدل في التعامل معهن وحفظ حقوقهن. كما قال في حديث آخر: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخر» (٢٧)، داعيًا إلى التوازن والإنصاف في الحكم على النساء. بهذه الوصايا، بيّن النبي صلى الله عليه وسلم مكانة المرأة في الإسلام وضرورة الإحسان إليها، مؤكدًا أن حسن المعاملة جزء من الإيمان.



نظرة ختامية

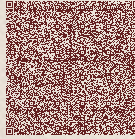
بين الإسلام والمجتمعات الغربية

في الوقت الذي تسعى فيه المرأة في بعض الثقافات الغربية خلف «حرية» مزيّفة تنتهي بها إلى العزلة والشقاء، نجد أن الإسلام قد كفل لها حقوقها كاملة، وجعلها تُعامل بما يليق بكرامتها. فبينما تلهث النساء في بعض المجتمعات وراء قوانين وضعية تستغل ضعفهن، يقدم الإسلام نموذجًا فريدًا يُعزز من مكانة المرأة ويراعي طبيعتها.

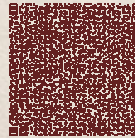


المراجع:

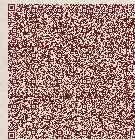
المرأة العربية والفكر الحديث من تأليف مفيدة محمد ابراهيم



حق الكد والسعاية من تأليف محمد بشاري



حقوق النساء في الإسلام - نداء للجنس اللطيف
من تأليف محمد رشيد رضا الشيخ



English Men Once Sold Their Wives Instead
of Getting Divorced



Scold's Bridle, The Torture Device Used To Silence
Women In The Middle Ages





المراجع:

The Invisible Faces of Runaway and Homeless Youth



One in four women ›has office sex



On French public transit, ›100 per cent‹ of women have been sexually harassed



One in Four U.S. Women Reports Workplace Harassment



Abuse of women in European parliaments widespread, study shows





المراجع:

Sexualized and gender-based dress codes may discriminate



Women feel they have to dress «sexier» at work



The women seeking rich older men to pay their university fees



Is cosmetic surgery the new acceptable face of womanhood?



Violence against Women:
every day and everywhere





المراجع:

Violence against Women: every day and everywhere



الراوي : أبو هريرة | المحدث : مسلم | المصدر :
صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم : ٢٥٤٨



الراوي : أسماء بنت أبي بكر | المحدث : البخاري | المصدر :
صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم : ٢٦٢٠



الراوي : عقبة بن عامر | المحدث : ابن باز | المصدر :
مجموع فتاوى ابن باز | الصفحة أو الرقم : ٣٦٥/٢٥



الراوي : أنس بن مالك | المحدث : الألباني | المصدر :
السلسلة الصحيحة | الصفحة أو الرقم : ٢٩٦





المراجع:

الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث :
الألباني | المصدر : صحيح الترمذي | الصفحة أو الرقم : ٣٨٩٥



الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : الألباني | المصدر :
هداية الرواة | الصفحة أو الرقم : ٣١٨٨



الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : الألباني | المصدر :
صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم : ١٤١



الراوي : أنس بن مالك | المحدث : البخاري | المصدر :
صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم : ٥٢٢٥



الراوي : معاوية بن جاهمة السلمي | المحدث : الشوكاني
المصدر : الدراري المضية | الصفحة أو الرقم : ٤٤١





المراجع:

الراوي : أبو هريرة | المحدث : البخاري | المصدر :
صحيح البخاري
الصفحة أو الرقم: ١٨٥هـ



الراوي : [أبو هريرة] | المحدث : ابن كثير | المصدر :
تفسير القرآن العظيم | الصفحة أو الرقم: ٢/٢١٢

